قوله فاهتز به للصلاة فيها حرا الماح اي اهتز اضطراب وتحرك الي الخلا الزم
لما راه هزة الطرب والسرور برقيه صلى الله عليه وسلم عليه وكان ثابت
العباس لم يسكن وقدم قبل حراما لكن لما احتاج الي تشبيه الجبل
بالتحرك صحا ذكر عدل عن ذلك الي ملحة الدراما لافادة ما في تشبيه
الجبل بالبحر من البلاغة المبنية على الاستعارتين المذكورتين فان
قلت الذي مر في حرا انه انما قال له اثبت او نحو ولم يضرب بقدمه
وانما الذي ضرب بقدمه احد وثبير فمن اين للناظم قوله لولم فيسكن
به قبل حرا قلت كانه نظر الي بعض الطرق في مسند الحارث
ابن اسامة اذ فيها احدا او حرا بالشك وصح في رواية حرا وفي رواية
حرا وفي رواية احد فاقتضى ذلك ان الضرب بالقدم الكريمة في حرا
كما انه في احد وذلك ان تحمل النظم على ان المراد لولم يسكن حرا قبل
اي قبل طلوعه عليه هو واصحابه بقدمه اي مشيه عليه واقامته فيه
للتعبد قبل النبوة لاستمر توجه واضطرابه حين طلع عليه ثانيا
هو واصحابه وحينئذ لا يرد على الناظم شي الا انه يقال المسكن له
كل من قدم وقوله له اثبت احدا وحرا فلا وجه لتخصيص القدم
بالذكر وقد يجاب بانه لا مانع ان المسكن له كل من الامرين فنسبته
الي القدم لا تنافي انه لا مسكن غيرها ولك ايضا ان تجعل الراما
الارض متسمية للمحل باسم الحال وحينئذ فالمعنى لولم يسكن حرا
اي بقدمه قبل تعبده فيه قبل النبوة لما جب به الارض بعد النبوة
وجاوز بها الي اخر الدهر وحضر الان النبي صلى الله عليه وسلم
ضمه بمقبل فيه دونه غيره تنبيه اشار صلى الله عليه وسلم

ق

١٢

والملائكة وعيون اخبار الامم السابقة وشانه صلى الله عليه وسلم وغزواته
واحواله الي حماته ثم شان امته من بعده وبدو خلق الانسان الي
موته واحارات الساعة وجميع احوال البرزخ والحشر والجنة والنار
وزعم الجاحظ انه لا يوجد فيه شي من المذهب الكلامي الذي هو
احتجاج المتكلم على ما يريد اثباته بحجة تقطع الخصم على طريقة ارباب
الكلام ولا من النوع المنطقي الذي تستنتج منه النتائج الصحيحة
والمقدمات الصادقة وردوا عليه بانه حشي من ذلك اذ ما من برهان
ودلالة وتقسيم وتحديد يبني من كليات العلوم العقلية الا وكتاب
الله تعالى قد نطق به وقد بين الاسلاميون من اهل هذه العلوم
كثيرا منه ذلك منه انه من اول سورة الحج الي قوله فان الله يبعث من في
القبور خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات بل فيه الاشارات حتى
لعلم الهندسة بل لاشكال ما فيه وهو الشكل الثلاثي بقوله الي
ظل ذي ثلاث شعب الاية قاله الايم وانما اوردت حجة على عادة العرب
دونه دقايق المتكلمين لقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
ولان من استطاع ان يفهم غرضه بالاوضح الذي يفهمه الاكثرون لا ينبغي
له ان يعط الي الاغمض الذي لا يفهمه الاقلون وان كان ملغزا ومن
ثم اخرج تعالى في مخاطباته في مناجاة خلقه في اجلي صورة واوضحها
لتفهم العامة ما يقنعهم ويلزمهم الحجة بسببه والخاصة ما يليق بهم
من دقايق المعارف التي هي منتهى كل ومنتهى ارب ومن عجيب تلك
الايات انها ابانت تلك العلوم التي اغار لها حاله كونها منقولة
عن بينها وبين من اجناس اللاحق حروف قليلة بالنسبة الي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)